رؤى محمد فاضل الجمالي تجاه علاقة العراق مع الولايات المتحدة

م.م انوار نجم سوادي

جامعة بغداد/المكتبة المركزية

رؤى محمد فاضل الجمالي تجاه علاقة العراق مع الولايات المتحدة

م.م انوار نجم سوادي

المستخلص

اتسمت الدبلوماسية العراقية تجاه الولايات المتحدة الامريكية بمكانة خاصة لدى محمد فاضل الجمالي ، عبر هندسة سياسة محددة ، وصوغ توجه عام من جانبه باتجاه بناء علاقات عراقية امريكية على اساس منح الولايات المتحدة المكانة الاولى في الحقول السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية .

وعلى وفق ذلك، فان فرضيتنا العلمية التي تؤسس لدراسة هذا الموضوع تنطلق من افتراض ان الجمالي ، ونتيجة لدراسته في الولايات المتحدة الامريكية ، وزياراته الاوروبية المتعددة ،اعتقد ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي سيكونا قطبا العالم، وبسبب جذوره الدينية وفكره السياسي العروبي ،فقد ناصب الاتحاد السوفيتي العداء، واصبح مؤمنا اكثر بقوة الولايات المتحدة ودوره العالمي ، لذا سعى بكل قوة للتحالف مع الولايات المتحدة على حساب بريطانيا .

ولتفسير دبلوماسية الجمالي تجاه الولايات المتحدة يتطلب الاجابة على التساؤلات التالية:

ما فلسفة الجمالي الدبلوماسية؟

ما ابرز صفات الدبلوماسي العراقي في منظور الجمالي؟

ما رؤى الجمالي للعلاقة مع الولايات المتحدة؟

الاجابة عن تلك الاسئلة واسئلة اخرى هو محور دراستنا.

الكلمات المفتاحية

الدبلوماسية العراقية، محمد فاضل الجمالي، الولايات المتحدة الامريكية

المقدمة:

اكتسب العراق اهمية استراتيجية واقتصادية جعلته محط انظار القوى الدولية التي اخذت ترنوا اليه منذ اقدم العصور . وقد اضاف اكتشاف النفط فيه بعداً جديداً , واهمية الى اهميته التقليدية , ولاسيما بعد ان اصبح النفط عصب المدنية فيظل التطور التقني الذي شهدته الدول الصناعية. ووجهت الولايات المتحدة الامريكية حالها حال غيرها من القوى الكبرى اهتماماتها الى العراق منذ اواخر القرن التاسع عشر. وعلى الرغم من ان المصالح الامريكية في بدايتها كانت مصالح متواضعة، الا ان تلك المصالح حققت حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية (أيلول ١٩٣٩ – أيلول ١٩٤٩) تطورا ملموسا ووجود متميزا .

كانت نهاية الحربالعالمية الثانية ايذانا بتبدل ميزان القوى في العلاقات الدولية بظهور قوتين عظيمتين كالولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي ، مقابل تقهقر واضح للنفوذين البريطاني والفرنسي , وهزيمة قاسية للألمان واليابان .

اقترن تأريخ النظام الملكي في العراق (٢٣ اب ١٩٢١ –١٤ تموز ١٩٥٨) بشخصية نوري السعيد (١٨٨٨– ١٩٥٨) [١] , لم يعي السعيد طبيعة التغيرات الدولية ، فظل وفيا لاتفاقاته مع بريطانيا , ويمكن تبرير ذلك على وفق عقلية السعيد السلطوية , العسكرية العثمانية , الابوية ," **والذي نصب نفسه وصيا على المجتمع , وهو رجل اشبه امي لم يطلع على التطورات الفكرية المعاصرة , وان سمع بعض منها , فلم يكن متأهلاً لتفهمها تاريخيا و لا سياسيا ولا نفسيا** ".[٢]

في حين ظهر جيل جديد اختلف مع السعيد في نظرته للحكم , ويقف في مقدمة هؤلاء محمد فاضل الجمالي [٣] , والذي تخرج من احدى الجامعات الامريكية , آمن الجمالي بالنظام الديمقراطي في ظل نظام ملكي , وتمتع بنظرة جدلية انثريولوجية لتطور المجتمع والاحداث السياسية , واعتقد ان توثيق العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية على حساب بريطانيا , هو الحل الامثل لدرء مخاطر نشر الشيوعية في العراق . فضلاً عن اعتقاده ،ان ذلك سيساعد على حل المشكلة الفلسطينية , لتصوره المبكر ان الولايات المتحدة الامريكية هي من تمسك بحلول القضية الفلسطينية الا ان اصرار السعيد وعناده ومراهنته على بريطانيا , دفع ثمنها النظام الملكي بنهايته في صبيحة ١٤ تموز بانقلاب دموي بشع .

تكمن فحوى الدراسة في تتبع الفكر الدبلوماسي لمحمد فاضل الجمالي , على افتراض ان الجمالي قد حقق تقدما دبلوماسيا جديرا بالذكر في دفاعه المستميت باسم العراق في المحافل الدولية عن قضايا العرب في شمال افريقيا , وتصديه لقضايا تحرير الجزائر وتونس وليبيا والمغرب وسجلاته وخطاباته في هذا الاطار , مثار فخر للدبلوماسية العراقية في تاريخها المعاصر , ناهيك عن دوره الريادي في الدفاع عن القضية الفلسطينية قضية العرب الاولى , وايلائها المكانة الاولى في الدبلوماسية العراقية , وقد ظل الدفاع عن حق الفلسطينيين ماثلا في كتاباته لغاية اواخر عمره , وفي الوقت الذي كان للوصي والسعيد موقفا متخاذلا من العدوان الثلاثي على مصر , كان الجمالي صريحا وواضحا في الوقوف الى جانب الشعب المصري وحكومته .

ان الاشكالية التي تحاول الدراسة اثباتها ، ان الخزين المعرفي الدبلوماسي لدى الجمالي قد منحه رؤية واضحة تتعلق بضرورةتوثيق العلاقة مع الولايات المتحدة الامريكية كقطب اعظم , لان ذلك في منظوره ،سيساهم في توثيق القدرات العسكرية للعراق في ظل تهديد سوفيتي ومد شيوعي عارم . فضلاً عن اعتقاده ان التحالف مع الامريكيين سيمنح النظام السياسي في العراق استقرارا مجتمعيا افضل , وتطورا اقتصاديا اعلى , وعلاقات ثقافية اسمى ولاسيما في حقل التعليم . وان التحالف مع بريطانيا غير مجدي بسبب تدهور مكانتها العالمية وضعف اقتصادها . وعليه , نعتقد ان محمد فاضل الجمالي سخر منصبه الوظيفي في وزارة الخارجية ورئاسة الوزراء لهذا الغرض .

تضمن هذا البحث ثلاثة محاور الاول : تناول فلسفة الجمالي الدبلوماسية . في حين استعرض المحور الثاني :صفات الدبلوماسي العراقي في منظور الجمالي .وتطرق المحور الثالث الى : رؤى الجمالي في علاقة العراق بالولايات المتحدة .

اعتمد البحث على بعض المصادر الوثائقية ولاسيما الامريكية وابرزها كتاب العراق في الوثائق الامريكية من ١٩٥٢-١٩٥٤ ، وقد ترجمها عصام شريف التكريتي ، واصدرتها دار الشؤون الثقافية في بغداد عام ١٩٩٥.

كما افاد الباحث من محاضر مجلس النواب التي لا يمكن الاستغناء عنها للباحث في تاريخ العراق .

وكانت أطروحة الدكتوراه الموسومة محمد فاضل الجمالي : دوره السياسي ونهجه التربوي حتى العام ١٩٥٨ للباحث المميز الدكتور رحيم كاظم محمد الهاشمي ، المنهل الذي اغترف منه الباحث لإنجاز بحثه السياسي والتربوي والدبلوماسي ،وبتقديرنا على الرغم من اهمية اطروحة الهاشمي وغناها المعرفي فان الجمالي كدبلوماسي يستحق دراسة اكاديمية بمستوى ماجستير.

وتعد مذكرات محمد فاضل الجمالي الموسومة ذكريات وعبر : كارثة فلسطين واثرها في الواقع العربي من المصادر المهمة للدارس في فكر محمد فاضل الجمالي .

فلسفة الجمالي الدبلوماسية

ان فلسفة محمد فاضل الجماليفي السياسة الخارجية , تكمن في انبهاره الشديد بشخصية الملك المؤسس الملك فيصل الاول[٤] (٢٣ اب ١٩٢١ – ٨ ايلول ١٩٣٣) والتي ارساها فيصل الاول في بواكير تأسيس الدولة العراقية , ويمكن القول ان الفكر الدبلوماسي للجمالي, اعتمد على عدة مبادئ, ابرزها:-

١-سلامة العراق واستقلاله.
٢-مبادئ الثورة العربية الكبرى الرامية الى تحرير البلاد العربية واتحادها .
٣-صلاتالجيرة الحسنة .
٤-اتباع سياسة خارجية مع الدول تضمن تقدم العراق والنهوضاجتماعيا واقتصاديا على اساس نشوئية لا ثورية هدامة .

واعلن بوضوح في مجلس النواب العراقي :"**ان هذه هي مبادئ في اسس السياسةالخارجية التي لو امنا بها لوجدنا ان علينا ان نتبع سياسة خارجية صريحة ثابتة لا تخضع للأهواء , و للنزاعات او الاختلافات الحزبية . فالسياسة الخارجية تتوقف عليها**

حياة الامة بمجموعها , ولابد ان تكون مستقرة نسبيا , وان تتفق عليها الاحزاب والفرق السياسية المختلفة". (٥)

ان نظرة تحليلية فاحصة لأسس السياسة الخارجية العراقية في منظور الجمالي توضح لنا بجلاء , عمق تفكيره , ونضوح رؤاه الدبلوماسية , وايمانه الراسخ الذي لا يتزعزع بسلامة العراق واستقلاله , والذي حدده هدفا اولوياًواساسياً .ومن ثم فان عروبيته دفعته في الاستماتة في الدفاع عن قضايا تحرير العرب , خلال مدة عمله على وفق مبادئ الثورة العربية التي اعلنها الشريف حسين , فلا غرو ان نجد الجمالي صوتا عراقيا هادرا في الدفاع عن قضية فلسطين على مدار اربعينيات وخمسينيات القرن العشرين في المحافل الدولية, وليس هذا فحسب , فكفاحه الدبلوماسي المرير والشجاع عن استقلال بلدان المغرب العربي : تونس، الجزائر، المغرب وليبيا ، يسجل للدبلوماسية العراقية عناوين فخر، فالعراق كان سباقا لعرض قضايا العرب ومدافعا حقيقيا عن مصالح الشعوب العربية ، في سبيل الحرية ، بعد ان سبق كل الدول العربية في دخول عصبة الامم ، ومن ثم هيئة الامم المتحدة .

وبتقديري المتواضع ان الاساس الثالث لفكر الجمالي الدبلوماسي جدير بالتوقف والدراسة، فالجيرة الحسنة مع تركيا، ايران، السعودية ، سوريا، الاردن ، الكويت ، الضمان الحقيقي لوحدة اراضي العراق وسلامتها ، وتقي العراق من التدخلات الاجنبية ، ويبدو ان الجمالي اعتقد ان طبيعة اطماع دول الجوارفي العراق ومصالحها، تتطلب قطع الطريق على تدخلات دول الجوار، بالحفاظ على جيرة حسنة ، لاسيما ان التنوع العرقي في بلادنا (عرب ،اكراد،وتركمان) والتنوع الطائفي تتيح لبعض تلك الدول بالتدخل سلبيا على حساب وحدة العراق وارضه وامنه . اما المحور الرابع ، فلابد من الاقرار بان تقدم العراق وتطوره في رؤى الجمالي تتمثل باتباع سياسة خارجية مع الدول تضمن تقدم العراق الطبيعي في المجالات الاقتصادية والاجتماعية ، وليس على اساس قفزة ، فالتطور في منظور الجمالي يضمن نهوض المجتمع العراقي بخطى ثابتة وبتدرج ، وهو يشجب في اعتقاده الدبلوماسي المد الشيوعي الذي اجتاح الشارع العراقي والذي دعمه الاتحاد السوفيتي، والذي طالما روج للأفكار الشيوعية التي اسماها الجمالي (هدامة).

وبعد سنوات في الحقل ونتيجة للتطورات السياسية التي اعقبت الحرب العالمية الثانية، وظهور حركات التحرر واستقلال كثير من البلدان، اضاف الجمالي لمبادئه الدبلوماسية مبدئا جديدا تمثل في :" **التعاون ضمن الكتلة الاسيوية في كل القضايا المشتركة التي تهم الدول اعضاء الكتلة ، والعمل في سبيل السلم العالمي وفق مبادئ ميثاق الامم المتحدة وقراراتها المنبعثة عن هذه المبادئ**".(٦)

ويبدو ان الجمالي وجد في دول اسيا المجال الحيوي للعراق في بزوغه الدبلوماسي وفرض ارادته في المحافل الدولية

صفات الدبلوماسيالعراقي وفق منظور الجمالي

قدر تعلق الامر بمواصفات الدبلوماسي في العراق في منظور الجمالي , فقد اكد الجمالي على جملة خصال ينبغي ان يتمتع به العامل بالحقل الدبلوماسي في العراق لمجاراة الدبلوماسية العالمية التي بدأت تنهض منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وفي منتصف القرن العشرين تحديداً .

١-اعتقد الجمالي ان ثقافة الدبلوماسي ضرورة لابد منها , والثقافة في اعتقاده اجادة اللغات الاجنبية ولاسيما الانكليزية والفرنسية والاسبانية , والالمام بعلم الاجتماع لفهم اعمق للطبيعة البشرية , ومعرفة العلوم النفسية , ليس هذا فحسب , فدراسة الحضارات العالمية ضرورة لابد منها لاسيما حضارات البلاد التي يعمل فيها , فالخزين المعرفي حاجة ماسة للدبلوماسي .

٢-رأى الجمالي ان العلوم الاجتماعية والانسانية هي معيار الدخول للعملالدبلوماسي , وان اسرار نجاح الدبلوماسي معرفته بتلك العلوم. لذا فضل قبول خريجي تلك العلوم في السلك الدبلوماسي.

٣-ومن المفيد التوقف عند تأكيد الجمالي على مؤسساتية الخارجية وثباتها وليس على الساسة الذين يتولون المنصب , وهي ظاهرة شائعة في الشرق الاوسط , فكثيرا ما

دعى الجمالي الى " **تبني سياسة , ثابتة لا تتأثر بتبدل الاشخاص او الحكومات ... اذ لابد من وجود سياسة عليا مستقرة لا تتبدل الا عند الضرورات القومية** ".[٧]

وهنا لابد من الاشارة الى نقطة جوهرية ما زالت تعاني منها الخارجية العراق لغاية اليوم منذ تأسيس الدولة العراقية , وقد اشار اليها الجمالي بوضوح وبتمعن , وتتجسد في عدم وضوح سياسة خارجية ثابتة , وعلى الارجح ان سرعة تبدل الوزارات على مدار الشهور السابقة واللاحقة , خلق تخبطاً في القرار الدبلوماسي , دفعت ثمنه الخارجية العراقية ضعفا مستديما بافتقادها للعمل المؤسساتي الذي يضع مصالح العراق فوق كل المصالح ،فاستقرار السياسة الخارجية مفتاح نجاح اي بلد على المستوى الدولي.

رؤى الجمالي للعلاقة مع الولايات المتحدة

كان محمد فاضل الجمالي من قلائل ساسة العهد الملكي (٢٣ اب ١٩٢١ – ١٤ تموز ١٩٥٨) الذي استشرفوا ضرورة توطيد العلاقات العراقية الامريكية على حساب العلاقات العراقية البريطانية , فبدأ واضحا للجمالي صعود الولايات الامريكية الى قوة عظمى وافول بريطانيا , وضعف تأثيرها بسبب الخسائر الكبيرة التي تلقتها في الحرب العالمية الثانية (١ ايلول ١٩٣٩ – ٢ ايلول ١٩٤٥) حتى عدت بريطانيا الرابح **(الوهمي)** في تلك الحرب , في حين كانت الولايات المتحدة الأمريكية**المنتصر الحقيقي** .

ويبدو ان تأثير ساسة العهد الملكي التقليديين , بان التحالف مع بريطانيا هو السبيل الافضل لمصالح الشعب العراقي , كان قد طغى على تطلعات الجمالي , والذي لم ييأس في تأصيل تلك العلاقة , غير ان الموقف الامريكي المنحاز للصهيونية , كان المعرقل الاول لسعي الجمالي , فعلى سبيل المثال , حين اقترح الرئيس الامريكي فرانكلين ديلانو روزفلت (٨)في مجلس الشيوخ الامريكي في منتصف شباط عام ١٩٤٤ , تأييد انشاء دولة يهودية في فلسطين , فان الجمالي هو من وضع النص الانكليزي لرسالة الحكومة العراقية الموجهة الى الرئيس الأمريكيفرانكلين روزفلت عام ١٩٤٣ . وحين توترت العلاقات العراقية الأمريكية على اثر الهجمات التي تعرضت لها الادارة الامريكية من جانب محلس النواب والاحزاب

والصحافة العراقية ، فقد التقى الجمالي بوصفه مديرا عاما للخارجية،بوزير الولايات المتحدة الامريكية المفوض في بغداد لوي هندرسون في نهاية شهر ايلول ١٩٤٤،واكد له على حرص العراق "**على تمتين علاقاته بالولايات المتحدة الامريكية**".(٩)

نستخلص مما تقدم، حرص الجمالي الواضح في ظل وزارة حمدي الباجه جي (١٠) الثانية (٢٩ اي ١٩٤٤ – كانون الثاني ١٩٤٦)ووزير خارجيته يومذاك ارشد العمري (١١)، على السير في نهج محدد , يمكن الحفاظ من خلاله على العلاقات مع الولايات المتحدة على الرغم من المواقف الامريكي المؤيدة للصهيونية , ولربما ان تشير الى ان هذا المنطق " **كان يقوم على اساس اقامة علاقات اواثق بين البلدين تكون جوهرية واساسية للتطورات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المنطقة , فضلا عن الرغبة في اقناع حكومة وشعب الولايات المتحدة الأمريكية بان العراق ليس مجرد امتداد لصحراء واراض زراعية وجبال بين ايران ودول اخرى، ويخضع للسيطرة غير المباشرة لبريطانيا العظمى , بل انه غدا دولة فتية تمتلك ارادتها وشخصيتها الخاصة ...وان الحكومة العراقية تأمل بان تبدأ الولايات المتحدة الامريكية , ادراك ان العراق , رغم كونه ما زال عضوا ناشئا جدا , وصغيرا في اسرة الامم , الا انه يرغب في ان يتمكن في اقصر وقت ممكن تطوراًيؤهله لكسب احترام الدول الاخرى** ".(١٢)

وخلال التجربة النيابية الاولى لمحمد فاضل الجمال (١٧ اذار ١٩٤٧ – ٢٢ شباط ١٩٤٨) , والتجربة النيابية الثانية (١٩٥٠–١٩٥١) والثالثة (١٧ كانون الثاني١٩٥٣ – ايلول ١٩٥٣) كانت السياسية الخارجية للمملكة العراقية من ابرز همومه , ولاسيما في مجال القضية الفلسطينية , فلا عجب ان يرد على خطاب رئيس وزراء بريطانيا ونستون تشرشل الذي القاه في مجلس العموم البريطاني في ايار ١٩٥٣ , تأييدا لإسرائيل , بان خطاب السيد تشرشل قد ترك لأسوأ الاثر في الاوساط العربية عموما , والعراقية على وجه الخصوص , فبعث رسالة احتجاج الى رئيس مجلس العموم البريطاني محذرا من "**تحيز المستر وتستن للصهيونية , وهذا التحيز المفروض ضاربا عرض الحائط صفوف العرب ببلادهم في فلسطين تلك الحقوق التي اقرتها الشرائع السماوية , والمبادئ الاساسية ,**

والعهود والمواثيق الدولية , ان خطاب السير يصدع كل العلاقات التي تربط بريطانيا بالعراق والعالم العربي, ويهدد السلام والاستقرار في هذه البقعة من العالم"[١٣]

وفي سياق اخر , هاجم الجمالي، الرئيس الامريكي دوايت ايزنهاور الذي اكد خلاله رغبه بلاده في اقامة سلام عادل لجميع الشعوب , اذ ادلي بتصريح الى وكالة الانباء العربية تمنى فيه " **ان يعمل الرئيس الامريكي مخلصا على تطبيق المبادئ التي دعا اليها في خطابه تطبيقا شاملا على الشعوب العربية , وخاصة في فلسطين.** " وخلال زيارة وزير خارجيةالولايات المتحدة الامريكية جون فوستر دالاس , التقى الجمالي به بوصفه رئيسا لمجلس النواب مع وزير خارجية الولايات المتحدة الامريكية . وهنا لابد من الاشارة الى ما دار في ذلك الاجتماع " زار **دالاس الشرق الاوسط وزار العراق , وقد زارني في مكتبي في مجلس النواب العراقي في اوائل سنة ١٩٥٣ , حين كنت رئيسا للمجلس , وتحدثنا آنذاك في عدة قضايا عربية , وفي مقدمتها القضية الفلسطينية ، وكان الموضوع الرئيس الذي اشارته الحكومة العراقية لمناسبة زيارة المستر دالاس هو موضوع تسليم العراق , وقدمت له مذكرة تطلب منها تزويد العراق بالسلاح , فوعد خيرا** ".[١٤]

كان من الواضح، رغبة الجمالي في توثيق العلاقات العراقية الامريكية , وان التعاون في حقل التسليح مهم جدا , لتعزيز تلك العلاقة , لخطورة هذا الملف واهميته في ظل تسليح بريطاني شامل للجيش العراقي على مدار العقود الماضية ولربما اراد الجمالي من تزويد الولايات المتحدة الامريكية للعراق ,بالأسلحة الحديثة , سلوك طريقا جديدا بالابتعاد عن التحالف مع بريطانيا مقابل التقارب العراقي الامريكي , في ظل تراجع بريطاني واضح في الشأن العالمي .

ويبدو ان توجه الجمالي بطلب الاسلحة من الولايات المتحدة الامريكية مباشرة شجع الاخيرة لان تأخذ دورا اكبر في العراق رغم وجود النفوذ البريطاني الذي لم يتمكن من عرقلة التوجهات الامريكية في تقديم المساعدات العسكرية للعراق، اذ اوضح السفير الامريكي في بغداد للجانب البريطاني ان طبيعة الاسلحة التي ستزود بها العراق هي لحفظ الامن الداخلي وانها لا تشكل تهديد لأية دولة في المنطقة. (١٥)

تمحورت سياسةالولايات المتحدة الامريكية بعد الحرب العالمية الثانية في محاولة احتواءالخطر الشيوعي، وفي ضوء برنامج النقطة الرابعة عقد العراق اتفاقا مع الولايات المتحدة في ١٠ نيسان ١٩٥١ , وفي الشهر التالي عقد العراق اتفاقا اخر مع مؤسسة المساعدات التعاونية الفنية الامريكية لأوروبا , وبلغ حجم المساعدات الامريكية للعراق خلال المدة من نيسان الى حزيران حوالي (١٠) مليون دولار .[١٦]

سعى الجمالي على الحصول على مزيد من المساعدات العسكرية الامريكية للعراق , وحين زار السفير الامريكي بيرتون بيري , وزير خارجية العراق الجمالي في ١٢ اب ١٩٥٢ , ابلغ الجمالي السفير الامريكي بشعوره المريرمن اهمال الولايات المتحدة الامريكية للعراق , وتفضيل دول اخرى كإيران والسعودية ولبنان على بلاده في المساعدات العسكرية والاقتصادية , وابلغه "**ان تجاهل الولايات المتحدة للعراق في المسائل العسكرية الدفاعية , خطئاً استراتيجيا كبيرا** ", على اساس ان العراق يمثل منطقة استقرار يمكن تطويره الى موقع مركزي للدفاع عن الشرق الاوسط وطالب بتوثيق العلاقات العراقية الامريكية على نحو سريع وبناء , وعلى وجه الخصوص في حقول التسليح والتنمية [١٧]. وتشير احدى الوثائق الامريكية في ذلك اللقاء , الى تبريرات وزير الخارجية العراقي , لضعف العلاقات العراقية الامريكية , ومما جاء في تلك الوثيقة :- "**ان ثمة قوى في العراق , كالشيوعين وانصار بريطانيا المتحمسين , ربما تعارض بسخط اعطاء الولايات المتحدة دورا اكثر ديمومة , ولكنه مع ذلك يشعر شخصيا ان الاوضاع السائدة حاليا تتطلب من الولايات المتحدة اداء دور كهذا , وان معارضة القوى المذكورة , سيمكن التغلب عليها نظرا الى انها تمثل ذلك النمط من المعارضة التي قد يجدها المرء في اي مكان من العالم , حيث تضارب المصالح الذاتية مع المصالح الانانية** ".[١٨]

الراجح , ان الجمالي اعتقد ان الولايات المتحدة الامريكية هيالقطب الاكبر في العالم, وتطلع ان تمارس الولايات المتحدة الامريكية هذا الدور لربما بسبب مخاوفه من المد الشيوعي في العراق لصالح دور سوفيتي اكبر في العراق , والساسة التقليديين لصالح نفوذ بريطاني الا ان الجمالي قد سعى وبقوة الى دور امريكي اكبر في العراق , بثقته الكبيرة في

تجاوز انصار بريطانيا والاتحاد السوفيتي ,بسبب تضارب المصالح بين المعارضين لدور امريكي كبير في العراق . كان هاجس الخارجية العراقية هي الحصول على مزيد من المعونات العسكرية الامريكية , على شكل هبات , لتجهيز الجيش العراقي , لإعداده لحماية اراضيه والتهيؤ ضد اي عدوان شيوعي , وبين الجمالي حاجة العراق لتشكيل اربع فرق عسكرية وتجهيزها.(١٩)

كان اول اهداف وزارة محمد فاضل الجمالي الحصول على مزيد من السلاح الامريكي, وفي هذا الشأن كتب سفير الولايات المتحدة الى وزير خارجيته" **ان الجمالي اثار مرة اخرى طلب المعونة العسكرية المقدمة في اذار الماضي ، واشار الجمالي ان حكومته مثلما تشعر الحكومة – حكومة المدفعي السادسة – بالقدر نفسه من الحماسة لعمل امريكي مفضل.**" (٢٠)

درست واشنطن باهتمام طلب الجمالي , واوعز وزير الخارجية الامريكي حون فوستر دالاس الى سفير بغداد بأعلام رئيس وزارة العراق محمد فاضل الجمالي شفاهيا بان طلبه للمساعدات الامريكية ستلاقي قبولا سريعا في اقرب فرصة. (٢١)

من المعتقد، ان لمحاولات الجمالي الدؤوبة واقناعه الجانب الامريكي بأهمية العراق من الناحية الاستراتيجية وموقع العراق القريب من الاتحاد السوفيتي قد حققت مرادها .

وفي اجتماع اخر جمع رئيس وزارة العراق والسفير الامريكي في ٧ كانون الثاني١٩٥٤ , اشار بيري الى برقيته الى وزارة الخارجية , واعرب الجمالي عن سروره لطلبات السفير الامريكي في ابداء المساعدات العسكرية الامريكية للعراق , واعرب ايضا عن رضاه التام من سياسة الولايات المتحدة تجاه ترتيبات الامن الاقليمي في الشرق الاوسط , وقدر الجمالي على وجه الخصوص طريقة التفكير الامريكي من ان جيوش الدفاع المحلية في دول الشرق الاوسط يحب ان تولد من الشرق الاوسط , وانتقد الولايات المتحدة الامريكية لتأخرها في الاقدام على تلك الخطوة قبل عدة سنوات , اذ ان مصاعب جمة كان يمكن تجاوزها. واضاف بيري في رسالته عن ذلك الاجتماع بان الجماليابلغه "**انه يود ان**

يكرر بانه اذا كانت الولايات المتحدة الامريكية تتوقع النجاح في الشرق الاوسط فينبغي عليها عدم ربط علاقتها مع العرب بالمسالة العربية – الإسرائيلية , وفي الوقت نفسه , ينبغي عدم اثارة الرأي العام العربي عن طريق طرح الخطط والمشاريع والمقترحات التي تتجاهل ما تبقى من الحقوق العربية التي اعترفت بها قرارات الامم المتحدة".(٢٢)

وفي السياق نفسه , اجتمع رئيس وزارة العراق مع السفير بيري في ٢ شباط ١٩٥٤ , لمناقشته ترتيبات التقديم الرسمي لرد الولايات المتحدة على طلب العراق للحصول على مساعدة عسكرية , وقد حضر الملك وولي العهد اجتماعا اخر جمع الجمالي وبيري في ٢٠ شباط من العام نفسه , ومما ذكره السفير الامريكي في رسالته الى وزارة الخارجية , "**ان الجمالي كان حريصا على ان لا يؤدي التقارب مع الولايات المتحدة الامريكية الى اثارة الرأي العام ، لذا ارتأى استشارة الساسة بشأن الموضوع** "(٢٣)

وفي السياق نفسه , حرص على ان يكون وجود الخبراء العسكرين الامريكيين الذين تقتضي الحاجة وجودهم للتدريب على الاسلحة الامريكية ,محدودا الى اقصى حد ممكن .والاهم من ذلك حدد الجمالي رأيه القاطع بشأن الوجود العسكري الامريكي في العراق على النحو الذي نقله بيرى الى وزارة الخارجية الامريكية على لسان الجمالي " **من اجل ان يحظى الاتفاق على الموافقة الشعبية ينبغي عليه القول ان اية قوات امريكية لن يسمح لها ان تستقر في العراق , وان لا تطالب الولايات المتحدة بأية امتيازات خاصة لها , وحقوق لإنشاء القواعد** ".(٢٤)

كانت (اسرائيل) بالمرصاد لمنع تقديم اية مساعدات عسكرية امريكية للعراق ولاسيما المساعدات العسكرية , ونتيجة للضغوط الصهيونية في الولايات المتحدة الامريكية , فقد قررت الخارجية الامريكية ايقاف المفاوضات العراقية في الاول من نيسان ١٩٥٤ , وتأجليها لحين دراستها من جانب مجلس الامن القومي الامريكي . حيال ذلك , ارسل بيري في ١٦ نيسان رسالة الى مساعد وزير الخارجية الامريكي هنري بايرود اعلمه فيها "**ان توقف المفاوضات ستؤدي الى خيبة امل الجمالي الذي سعى الى عقد اتفاقية الامن المتبادل بين العراق الولايات المتحدة , والى درجة ربما تقدم على الاستقالة عما قريب ,وهذا يعني اننا**

سوف نفقد اكثر الناقمين , من بين اكثر القادة العرب , وعلى الشيوعية واكثرهم رغبة بالتعاون العربي مع الغرب".[٢٥]

كان التهويل من (الخطر الشيوعي) ابرز التكتيكات التي استخدمها الجمالي مع الولايات المتحدة لضمان الحصول على مزيد من المساعدات العسكرية , ولن يتأخر في ابداء موافقة بلاده في محاربة الشيوعية , واعلان استعداد العراق للانخراط بالتحالف التركي – الباكستاني . وقد فسر الجمالي للسفير الامريكي خلال زيارة الاخير للجمالي في مدة مرضه في ١٨ نيسان ١٩٥٤ , اسباب تعليق المفاوضات العراقية الامريكية بالقول :" **ان تعليق المفاوضات من جانب الامريكيين , لم يكن بسبب البيان الذي اصدرته الجامعة العربية بسبب الموقف من الاحلاف , ولا بسبب احداث داخلية , بل ان القرار , جاء نتيجة للاتجاهات المؤسفة في واشنطن اثر الضغوط الاسرائيلية ".**[٢٦]

وعلق محمد فاضل الجمالي في مذكراته عن هذا الموضوع بالقول : " **وحين وصلت المفاوضات مرحلة تقترب من نهايتها , هب الصهيونيون في امريكا , وقام مؤيدهم في الكونغرس يضغطون على وزارة الخارجية الامريكية , مستغلين موسم انتخابات عام ١٩٥٤ , مما ادى الى انقطاع المفاوضات , فبعثت الى المستر دالاس شخصية عن طريق سفارتنا في واشنطن , قلت فيها انه يستحيل مقاومة النفود الشيوعي في الشرق الاوسط دون الحصول على صداقة العرب , ولا يستطيع كسب هذه الصداقة الا بالأمور التالية :**

١-مساعدة مصر في تحقيق جلاء القوات البريطانية عن قناة السويس .
٢-حل القضية الفلسطينية بروح العدل والانصاف .
٣-مساعدة اقطار شمال افريقيا على التحرر من الاستعمار الفرنسي .
٤-تسليح العراق ومساعدته ليصبح نموذجا في القوة والعمران ."[٢٧]

يبدو ان الجمالي اقنع الامريكيين ان محاربة المد الشيوعي في الشرق الاوسط , يرتبط بالتقارب العربي الأمريكي , والذي لا يمكن تحقيقه دون التخلص من مشاكل الشرق الاوسط , التي ابرزها تواجد القوات البريطانية في قناة السويس والتي ادت لاحقا الى عدوان بريطاني

فرنسي إسرائيلي ضد مصر , استشرف الجمالي بذكائه ان تواجد تلك القوات مسألة تهدد امن الشرق الاوسط , وهذا ما حصل لاحقا . اما المسالة الثانية التي اشار لها الجمالي فتتعلق بالقضية الفلسطينية , فما دام الموقف الامريكي مساندا لإسرائيل , فليس هناك من حل قريب . قدر تعلق الامر بدول شال افريقيا , فما زالت تونس والجزائر وحتى المغرب ترزخ تحت احتلال فرنسي مقيت , يعمل على فرنسة تلك الدول , وطمس هويتها العربية والاسلامية، لذا كان من اولى اولويات الجمالي على مدار عمله الدبلوماسي والسياسي , دعم شعوب المغرب العربي من اجل نيل استقلالها , وفي هذا الصدد وفي تلك النقطة بالذات فقد حاول الجمالي الفات نظر الولايات المتحدة لاستقلال تلك البلدان من الاحتلال الفرنسي في ضوء مبدأ حق تقرير المصير، وبسبب سياسة القمع التي مارستها فرنسا ضد حركات التحرر في تلك البلدان .والمسألة الرابعة اراد الجمالي للعراق مكانة مميزة , واعتقد ان تحقيقها يمر عبر مساعدة الولايات المتحدة ودعمه للعراق .

ولغرض التعجيل بتعزيز التجارة بين البلدين وقع العراق مع الولايات المتحدة الامريكية على اتفاقية اقتصادية في ١٥ اذار ١٩٥٤ ،تضمنت اعفاء الصادرات والواردات من والى العراق من الرسوم الكمركية.

نجح الجمالي في تحقيق ما يصبو له من دعم ومساعدات عسكرية للعراق , اذ ارسل وزير خارجية الولايات المتحدة دالاس الى سفيره في العراق بيري في ٩ نيسان ١٩٥٤ اعلمه بقرار وزارة الخارجية الامريكية بتخويله لتوقيع اتفاقية توضح بان الولايات المتحدة ستأخذ بالحسبان الموقف الدولي في المنطقة فيما يتعلق بحجم وصفة وتوقيت هذه المساعدة .[٢٨]

التقى الجمالي بالسفيرالامريكي في العاشر من نيسان , واتفقا بشأن النقاط النهائية التي ستتم تغطيتها في مذكرة تقديم المساعدة العسكرية , وقد اعلم بيري الجمالي , عدم اصرار الولايات المتحدة على استخدام كلمة (**اتفاقية**) في الفقرة الختامية من المذكرة , وستستخدم كلمة (**تفاهم**) .وفي ٢١ نيسان من الشهر نفسه تم تسليم مسودة جديدة لمذكرة الولايات المتحدة الخاصة بتقديم مساعدة عسكرية للعراق ,ثم قرأ الجمالي وزير الخارجية وكالة ردا جاء فيه :"**اتشرفبإعلام معاليكم بتسليم مذكرتكم الجوابية المرقمة ٦٧٧ والمؤرخة في ٢١**

نيسان ١٩٥٤ على مذكرة وزارة الخارجية المؤرخة في٢١اذار ١٩٥٣ , والتي طلبت فيها الحكومة العراقية المساعدات العسكرية من حكومة الولايات المتحدة , ويسرني ان اعلمكم بان الحكومةالعراقية قررت , مع وافر الشكر والامتنان , قبول تلك المساعدات ,وفق الاسس التي انطوت عليها مذكرة معاليكم " . وفي السياق نفسه , اذاعت مديرية الدعاية العامة في ٢٥ نيسان ١٩٥٤ بيانا مقتضبا بشأن الاتفاقية جاء فيه :"**رغبة في توسيع تشكيلات الجيش العراقي وتقويته , كانت قد طلبت حكومة العراقية في اذار ١٩٥٣ , مساعدة عسكرية من الولايات المتحدة الامريكية . وبعد اتصالات مستمرة يسرنا ان نعلن ان حكومة الولايات المتحدة قد وافقت اخيرا على تزويد الجيش العراقي بالمساعدات العسكرية بدون اي شروط او التزامات سياسية وتحالفية** .[٢٩]

وقع العراق مع الولايات المتحدة الامريكية على اتفاقية الامن المتبادل في ٢١ نيسان ١٩٥٤ ، اذوقعها عن العراق محمد فاضل الجمالي وزير الخارجية وكالة ، وعن الولايات المتحدة سفيرها في العراق بارت نواي بيري ، ونصت الاتفاقية على رغبة الحكومة الامريكية في منح العراق مساعدات عسكرية وتامين الاستفادة التامة من المساعدات الاقتصادية والعسكرية التي تجهزها الولايات المتحدة ، واشترطت الاتفاقية ايضا على العراق بان يقوم بتجهيز الجهات الامريكية بالمعدات والمواد او اية خدمات اخرى او مساعدات يتفق عليها الطرفان ، فضلا عن تسهيل انتاج وتصدير مواد اولية او شبه مصنعة من العراق الى الولايات المتحدة .وفي سياق متصل ،طالبت الاخيرة بان يستخدم السلاح لغرض الحفاظ على الامن الداخلي وعدم استخدامها في حالة الحرب مع دولة اخرى .(٣٠)

ان مطالعة لبنود الاتفاقية [٣١]سنستنتج بان الجمالي سعى الى ايجاد مصدر تسليح اضافي , غير بريطاني لتسليح الجيش العراقي وعلى شكل هبات , بسبب مواقف بريطانيا السلبية , فالاتفاقية غير مشروطة ببنود تمس حرية العراق , او تحجم تطلعات العراق المشروعة في تأمين مصالحها الوطنية .

اشار الجمالي في مذكرته الى تلك الاتفاقية بالقول " **ان الامريكان حاولوا الحصول على وعد خطي بالا تستخدم هذه الاسلحة ضد اسرائيل , فرفضنا ذلك رفضا باتا , وقلنا**

باننا نتعهد بالا نستخدم هذه الاسلحة في اي عدوان على اية جهة كانت , بل تستخدمها للدفاع عن حقوقنا وحقوق العرب ضد اي اعتداء يقع من قبل اسرائيل او غيرها .[٣٢]

ساعدت تلك الاتفاقية على تنامي النفوذ الامريكي في العراق لان تطبيقها تطلب تواجد ضباط فنيين من الولايات المتحدة الامريكية في العراق، وبالمقابل ارسال ضباط عراقيين للتدريب في الولايات المتحدة ، بعد ان كان تدريبهم محصورا في الكليات والمعاهد العسكرية البريطانية .

الخاتمة

تطلعت بعض النخب السياسية في مدة دراستنا الى تطوير علاقات العراق مع الولايات المتحدة الامريكية على كافة الصعد ،على اساس ان نظرة الولايات المتحدة للعراق ضمن اطار المصالح المتبادلة ، غير نظرة بريطانيا ذات الطبيعة الاستعمارية للعراق، والتي تميزت باستغلال ثروات العراق ونهبها . ومن الجدير بالذكر، ان من ابرز تلك النخب هو الدكتور محمد فاضل الجمالي ، الذي مارس دبلوماسية صبورة وذات نفس طويل تجاه جعل الولايات المتحدة الحليف الاول ، على حساب بريطانيا ، وعلى ما يبدو ان الولايات المتحدة فضلت ازاحة بريطانيا من طريق التنافس على المصالح الاقتصادية والسياسية والعسكرية في العراق .

والراجح ان نهاية الحرب العالمية الثانية قد جعل العراق مهما في منظور السياسة الخارجية الامريكية،فقد اصبح الدولة الاكثر اهمية في التوجهات السياسية والاقتصادية والاستراتيجية ضمن نطاق الشرق الاوسط ،لذا كان الحراك الدبلوماسي العراقي تجاه الولايات المتحدة واضحا ، وقد توجت دبلوماسية الجمالي بعقد اتفاقيتين امنية واقتصادية ،تحت ذريعة الوقوف بوجه الشيوعية العالمية التي يتزعمها الاتحاد السوفيتي.

الهوامش :

١) لمزيد من التفاصيل عن نوري السعيد ،انظر:
فالديمارغالمان ، عراق نوري السعيد، دراسة وتقديم وتحقيق :سيار الجميل ، بغداد،٢٠١٥.

٢) رفعة الجادرجي، كامل الجادرجي في حق ممارسة السياسة والديمقراطية ،منشورات الجمل ، كولون ، ٢٠٠٤.

٣) لمزيد من التفاصيل عن حياة محمد فاضل الجمالي . انظر :-
رحيم كاظم محمد الهامشي , محمد فاضل الجمالي :دوره السياسي ونهجه التربوي حتى العام ١٩٥٨ , اطروحة دكتوراه , كلية الاداب , جامعة البصرة , ١٩٩٧ .

٤) لمزيد من التفاصيل عن الملك فيصل الاول . انظر :-
عبد المجيد كامل التكريتي , الملك فيصل الاول ودوره السياسي في تأسيس الدولة العراقية الحديثة ١٩٢١ – ١٩٣٣ , بغداد , دار الشؤون الثقافية العامة ,١٩٩١ .

٥) محاضر مجلس النواب , الدورة الانتخابية الثانية عشرة , الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٤٨ , مطبعة الحكومة ,بغداد , ١٩٤٩ ,ص ٤٦٦ .

٦) محمد فاضل الجمالي , العراق بين الامس واليوم , بغداد ,١٩٥٤ ,ص ٢٨ .

٧) رحيم كاظم محمد الهاشمي، المصدر السابق , ص ١٠ , نقلا عن جريدة الزمان , العدد ٣٩١٥ , ايلول ١٩٥٠.

٨) لمزيد من التفاصيل عن دوره السياسي .انظر :-
عبدالله حميد العتابي ، الوجيز في لتاريخ الامريكي , بغداد, ٢٠٦٦ ,ص من ٨٥ – ١٠٥.

٩) محمد فاضل الجمالي ، ذكريات وعبر : كارثة فلسطين واثرها في الواقع العربي , دار الكتاب الجديد , بيروت , ١٩٦٥ , ص ٤٨ .

١٠) للتفاصيل عن حمدي الباجة حي . انظر :
افراح فاضل قنبر ، حمدي الباجة جي ودوره في السياسة العراقية , رسالة ماجستير , كلية الاداب , جامعة بغداد , ١٩٩٥.

١١) منهل إسماعيل , ارشد العمري ودوره السياسي , رسالة ماجستير , كلية الاداب ,جامعة الموصل , ١٩٩٧.

١٢) رحيم كاظم محمد الهاشمي, المصدر السابق , ص ٤٣ .

١٣) محاضر مجلس النواب , الدورة الانتخابية الثاني عشر , الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٤٩ , ص ٧٢٦,

١٤) عصام شريف التكريتي , العراق في الوثائق الامريكية من ١٩٥٢ – ١٩٥٤ , دار الشؤون الثقافية , بغداد, ١٩٩٥ , ص ٦٣ –٦٥ .

١٥) حسين علي عبود الطائي، التوجه الامريكي نحو العراق ١٩٤١– ١٩٥٨، بغداد، ٢٠١٢، ص ١٥٨.

١٦) رحيم كاظم محمد الهاشمي , المصدر السابق , ص ٢١٣٣ .

١٧) عصام شريف التكريتي , المصدر السابق , ص ٧٦ .

١٨) المصدر نفسه , ص ٧٧.

١٩) المصدر نفسه , ص ٨٨.

٢٠) المصدر نفسه , ص ١٠٧ .

٢١) المصدر نفسه , ص ١١٠.

٢٢) المصدر نفسه , ص ١١١.

٢٣) المصدر نفسه , ص ١١٢.

٢٤) المصدر نفسه , ص ١١٦.

٢٥) المصدر نفسه , ص ١٢٦.

٢٦) المصدر نفسه , ص ١٢٨.

٢٧) محمد فاضل الجمالي , ذكريات وعبد , ص ١٠٧.

٢٨) عصام شريف التكريتي , مصدر سابق , ص ١٢٨ .

٢٩) رحيم كاظم محمد الهاشمي , المصدر السابق , ص ٢٢٧ –٢٢٨ .

٣٠) حسين علي عبود الطائي ، المصدر السابق ، ص ١٨٦

٣١) للاطلاع على تفاصيل تلك الاتفاقية .انظر :-

عبد الرزاق الحسني , تاريخ الوزارات العراقية , الجزء التاسع , دار الشؤون الثقافية , ١٩٩٥ , ص ١٩٤–١٩٦ .

٣٢) محمد فاضل الجمالي , ذكريات وعبر , ص ١٠٨.

المصادر :

اولا: الوثائق المنشورة

– عصام شريف التكريتي , العراق في الوثائق الامريكية من ١٩٥٢ – ١٩٥٤ , دار الشؤون الثقافية , بغداد, ١٩٩٥

– محاضر مجلس النواب , الدورة الانتخابية الثانية عشرة , الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٤٨ , مطبعة الحكومة ,بغداد.

ثانياً: المذكرات

- محمد فاضل الجمالي ، ذكريات وعبر : كارثة فلسطين واثرها في الواقع العربي , دار الكتاب الجديد , بيروت

،١٩٦٥.

ثالثاً: الرسائل والاطاريح الجامعية

- افراح فاضل قنبر ، حمدي الباجة جي ودوره في السياسة العراقية , رسالة ماجستير , كلية الاداب , جامعة بغداد , ١٩٩٥.
- رحيم كاظم محمد الهامشي , محمد فاضل الجمالي :دوره السياسي ونهجه التربوي حتى العام ١٩٥٨ , اطروحة دكتوراه , كلية الاداب , جامعة البصرة , ١٩٩٧ .
- منهل إسماعيل , ارشد العمري ودوره السياسي , رسالة ماجستير , كلية الاداب ,جامعة الموصل , ١٩٩٧.

رابعا:الكتب المعربة

- فالديمارغالمان ، عراق نوري السعيد، دراسة وتقديم وتحقيق :سيار الجميل ، بغداد،٢٠١٥.

خامساً:الكتب العربية

- رفعة الجادرجي، كامل الجادرجي في حق ممارسة السياسة والديمقراطية ،منشورات الجمل ، كولون ، ٢٠٠٤.
- عبد الرزاق الحسني , تاريخ الوزارات العراقية , الجزء التاسع , دار الشؤون الثقافية , ١٩٩٥ , ص ١٩٤-١٩٦ .

- عبدالله حميد العتابي ، الوجيز في التاريخ الامريكي , بغداد, ٢٠٦٦.
- عبد المجيد كامل التكريتي , الملك فيصل الاول ودوره السياسي في تأسيس الدولة العراقية الحديثة ١٩٢١ – ١٩٣٣ , بغداد , دار الشؤون الثقافية العامة ,١٩٩١ .
- محمد فاضل الجمالي , العراق بين الامس واليوم , بغداد ,١٩٥٤.